

DOI: 10.54240/2318-013-001-015

المقاومة السلمية بالعرائض والشكايات: قبائل بني ورثيلان

وبني يعلى وقرقور (سطيف) -1840-1900- أنموذجا

Peaceful resistance through petitions and complaints: the tribes of Beni
Ourtilane, Beni Yala and Guergour (Setif)-1840-1900- as a model

اسم المؤلف: عبد الغفور نصر الدين - Abdelghafour Nacereddine صص 319-342
الدرجة والعنوان المهني: دكتور - جامعة محمد لمين دباغين- سطيف-2- الجزائر.
البريد الإلكتروني: abdelghafour.nacereddine@yahoo.fr

تاريخ استقبال المقال: 2022/12/02.. تاريخ المراجعة: 2023/01/05.. تاريخ القبول: 2023/05/10

الملخص: تعالج هذه الورقة البحثية مقاومة قبائل منطقة سطيف للاحتلال الفرنسي الذي تمكن من السيطرة على المنطقة منذ عام 1840، حيث اتخذت هذه المقاومة أشكالاً عدة، بداية بمشاركتهما في الثورات الشعبية التي قادتها مختلف الشخصيات كالأمير عبد القادر والحاج أحمد المقراني، ثم ولما عجزت عن المواجهة العسكرية المباشرة بسبب تفوق الاحتلال عدة وعتادا واتباعه سياسة عنيفة لإخماد هذه الثورات والقضاء عليها، ونتيجة لإرهاقها نظير سنوات طويلة من القتال، اتبعت أسلوباً آخر للمقاومة، تمثل في تقديم العرائض والشكايات لاسترجاع ما سلب منها والدفاع عن مصالح سكانها خاصة ما تعلق بمصادرة الأراضي وإحساسها بخطر تقسيمها وفقدانها لحمتها القبلية، هذا الأسلوب تمثل في تقديم العرائض والشكايات، وهي وسيلة سلمية تعبر عن مدى الوعي الذي وصلت إليه القبائل في إيجاد وسائل مختلفة للمقاومة والتكيف مع الوضع الذي فرضه الاحتلال. متخذين من قبائل بني ورثيلان وبني يعلى وقرقور نموذجا لذلك، مستندين على ما جاء في الوثائق المحفوظة في السجلات الخاصة بتطبيق القرار المشيخي 22 أبريل 1863، والقرار المشيخي 28 أبريل 1887.

الكلمات المفتاحية: منطقة سطيف، الاحتلال الفرنسي، العريضة، الشكاية، بني ورثيلان، بني يعلى، قرقور، القبيلة، سجلات السيناتوس كونسيلت، قانون 22 أبريل 1863.

ABSTRACT: This research paper deals with the resistance of the tribes of the Setif region to the French occupation, which managed to control the region since 1840, as this resistance took many forms, beginning with their participation in the popular revolutions led by various personalities such as Emir

Abdelkader and hadj Ahmed Elmoukrani, Then, when it was unable to engage in direct military confrontation due to the occupation's superiority in numbers and equipment and its violent policy to quell and eliminate these revolutions, and as a result of their exhaustion due to long years of fighting, it followed another method of resistance. Represented in submitting petitions and complaints to recover what was stolen from them and defending the interests of its population, especially with regard to the confiscation of lands and their sense of the danger of dividing them and losing their tribal unity. With the situation imposed by the occupation, And we took the tribes of Beni ourtilane, Beni Yala and Guergour as a model for that, based on what was stated in the documents preserved in the records for the implementation of the Senatus consult of April 22, 1863, and the Senatus consult of April 28, 1887.

Keywords: Setif region, the French occupation, petition, The complaint, Beni ourtilane, Beni Yala, Guergour, tribe, Senatus consult, Act of April 22, 1863.

المقدمة: وصلت أولى طلائع الجيش الفرنسي إلى منطقة سطيف بداية 1840، وسرعان ما أخذت في التوسع على حساب قبائل المنطقة متخذة من مدينة سطيف مركزا لهذه العملية، فاستولت على قبائل عامر وأولاد نابت ودخلت مع عموشة في صراع، ولم يكد يحل عام 1842 حتى كان الجيش الفرنسي قد وصل إل أقاصي المنطقة مثل بني ورثيلان وبني يعلى، فعمل على تفكيك القبيلة وسلب الأرض منها قصد إحضار المستوطنين، إذ أدرك الاستعمار أن الاحتلال لن ينجح مادامت اللحمة القبلية قائمة ولم يكن هناك مستوطنون. وقد قابلت قبائل منطقة سطيف هذا التوسع بالمقاومة منذ اليوم الأول، فدخلت في صف الثورات الشعبية التي قادتها مختلف الشخصيات كالأمير عبد القادر ومولاي محمد وصولا إلى ثورة المقراني، ولكن انتهت جميع هذه المقاومات بالهزيمة نتيجة قوة جيش الاستعمار الفرنسي واتباعه مختلف الأساليب في القتال، ورغم هذا إلا أن قبائل المنطقة لم تترك إلى الاستسلام بل واصلت المقاومة متبعة أسلوبا آخر تمثل في تقديم الشكايات والعرائض أملا في الحصول على حقوقها المسلوبة ودفاعا عن مصالح سكانها.

وتكمن أهمية الموضوع في أنه يوضح لنا ذلك التطور الذي حصل في ميدان مقاومة الجزائريين عامة وقبائل منطقة سطيف خاصة للاحتلال الفرنسي، إذ لم تعتمد الدخول في ثورة مسلحة فحسب وإنما استطاعت التكيف مع الوضع القائم وابتدعت أساليب أخرى للمقاومة، أساليب سلمية وحضارية، تعكس الوعي والنضج الذي وصل إليه

السكان من جانب ومن جانب آخر تعكس روح المثابرة والمقاومة وعدم الركون للاستسلام من جانب آخر، وكل هذا يسير في نطاق رفض الاستعمار الفرنسي. الإشكالية: تروم هذه الورقة البحثية تتبع تطور مقاومة قبائل منطقة سطيف للاحتلال الفرنسي من المقاومة الشعبية المسلحة إلى تقديم العرائض والشكايات، مقدمين بعض النماذج التي تبين هذا كقبيلة بني يعلى وبني ورثيلان، محاولين الإجابة على مجموعة من الأسئلة أهمها: ما هي أبرز المقاومات الشعبية التي شاركت فيها قبائل منطقة سطيف؟ ما الدوافع التي جعلت قبائل منطقة سطيف تنجح إلى المقاومة السلمية بتقديم العرائض؟ ما هي أبرز القضايا التي تطرقت إليها هذه العرائض؟، وهل تمكنت القبائل بهذا الأسلوب من تحقيق أهدافها؟

ويهدف هذا البحث إلى تتبع أساليب المقاومة التي انتهجتها قبائل منطقة سطيف للدفاع عن مصالحها، بالتركيز على أسلوب العرائض والشكايات.

1-احتلال منطقة سطيف والمقاومة الشعبية:

1-1 احتلال منطقة سطيف: بعد احتلال قسنطينة في عام 1837، ورغبة منها في تأمين الطريق السلطاني لبابك الشرق لما يكتسبه من أهمية حيوية، اتجهت القوات الفرنسية صوب مدينة سطيف لاحتلالها، وقد تمكنت من وضع أولى أقدامها هناك ذلك في 15 ديسمبر 1838، رغم المقاومة الشرسة التي جوبهت بها من قبل القبائل هناك، لتتمكن من احتلال سطيف بشكل نهائي عام 1839، ثم، وبعد اخضاع مدينة سطيف، بدأت القوات الفرنسية في التوسع على كافة المنطقة، فأخذت بتسيير الحملات للإغارة على قبائل الناحية، منها حملة في 23 ديسمبر 1838 على قبيلة أولاد نابت، ثم حملة على قبيلة بابور بقيادة فروادفون، ثم في ماي 1839 قادت القوات الفرنسية حملة على قبيلة ريغة القبالة، وحتى المناطق البعيدة عن مدينة سطيف طالها الحملات كقبائل منطقة القبائل الصغرى على غرار بني غبولة (قبيلة بني شبانة)، وقبيلة بني ورثيلان وبني يعلى¹.

1- Pélissier de Reynaud- les Annales Algériennes- T3- libraire militaire- Alger- 1854- p 292.

2-1 مقاومة قبائل منطقة سطيف للاحتلال الفرنسي: لقد رافق توسع الاحتلال في المنطقة مقاومة شرسة من معظم القبائل، إذا أنها لم تتنازل عن سيادتها وأراضيها بسهولة، فانضوت تحت لواء الزعماء الذين قادوا المقاومات الشعبية، ومنهم:

-المشاركة في ثورة الأمير عبد القادر (1832-1847): بعدما فرغ الأمير من تنظيم دولته في المنطقة الغربية للجزائر اتجهت أنظاره نحو الجهة الشرقية، فعين أمراء وخلفاء له هناك، ومنهم عبد السلام المقراني الذي شمل نفوذه منطقة سطيف، وأعلنت العديد من القبائل مبايعتها للأمير منها قبيلة ريغة الظهارة، وقبيلة عموشة¹.

المشاركة في ثورة مولاي محمد: الذي بدأ ثورة في عام 1846م، فتنقل بين مختلف مناطق شمال سطيف كقرية غبولة في بني شبانة شمال غرب سطيف ثم دخل في معارك ضد الاحتلال الفرنسي مثل معركة جبل العيني وأولاد نابت ومغرس وثنية طكوكة وبني عفيف وبني وجهان (قبيلة بني شبانة)، وبني يعلى وبني ورثيلان، وتحالف مع قبائل أخرى على غرار عموشة فجمع حوالي 10 آلاف من المشاة و300 فارس، ولكن طابورا فرنسيا سار إليه وهزمه فانفضت عنه القبائل، ورغم هذا حاول إعادة إحياء المقاومة لما تحالف مع الشريف بن ساسي بن عبيد وخاض مقاومة في جبال بابور ولكن لم يتمكن من إحداث تأثير وفقد مكانته لما تمكن الاحتلال من إلحاق أضرار كبيرة بالسكان نتيجة الأرض المحروقة، فبقي مولاي محمد مطاردا حتى تمكن حاكم سور الغزلان من إلقاء القبض عليه².

المشاركة في ثورة المقراني 1871: تعتبر ثورة 1871 من أكبر الثورات التي شاركت فيها قبائل سطيف فمعظمها كانت في الصفوف الأمامية، كريغة وعامر وأولاد نابت وساحل قبلي وبين شبانة وبني يعلى وبين ورثيلان وعموشة وبابور، وقد خاض هذه المقاومات سكان القبائل تحت قيادة المقراني، بتأطير الشيخ الحداد والإخوان الرحمانيين، وعلى رأسهم سي عزيز بن الشيخ الحداد الذي خاض معارك كثيرة، كتلك التي وقعت في مغرس بمساعدة من أولاد نابت ومحمد الصغير بن سعد شيخ ريغة ويلس بن بوزيد، لينتقل بعدها سي عزيز إلى جبل طافات من قبيلة القرقور بمساعدة أعيان من عائلة المقراني وأعيان بابور كالحاج بورحلة

1- سفيان لوصيف- شيوخ العلم في منطقة عموشة الإسهام الديني والوطني (1830-1962)- دار النجم الساطع- الجزائر- 2019- ص 18.

2- يحي بوعزيز- موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب- ج2- دار الهدى للنشر والتوزيع- الجزائر- 2009- ص 48.

وبن جاب الله محمد، وعمر بوعرعور مقدم الزاوية الرحمانية في تابابورت كما شملت المقاومة بني يعلى وبني ورثيلان والساحل قبلي، ولكنهم انهزموا أمام الجيش الفرنسي الأكثر تنظيماً الذي ساعدته بعض العائلات الكبيرة والشخصيات المتنفة في المنطقة كالذاودي بن كسكاس بالمقارنة مع المجاهدين الذين مع سي عزيز الذين كانوا أقل تنظيماً وتأطيراً¹. ونظراً لفشل المقاومة المسلحة في تحقيق الهدف المرجو والمتمثل في التخلص من السيطرة الاستعمارية ومن مشاريعها الاستيطانية، اتبعت قبائل منطقة سطيف أسلوب سلمي لإيصال صوتها تمثل في تقديم العرائض والشكايات.

2- مفاهيم ودلالات تاريخية:

1-2 تعريف المقاومة السلمية: تعرف على أنها المقاومة التي تسعى إلى إحداث تغيير دون اللجوء إلى العنف، بل بالاعتماد على الوسائل السلمية والرمزية، كاحتجاجات أو عدم التعاون الاقتصادي والسياسي، أو تقديم العرائض والشكايات للتعبير عن رفض الوضع الراهن، وقد تصل إلى العصيان المدني²

2-2 تعريف العريضة: هي عرض الحال، والعرض هو طلب الفعل بلين وأدب، والطلب يرفع إلى ولي الأمر ضمن كتاب، إما تظلماً أو استجلاً للنعمة³، أما اصطلاحاً يعرفها أشقي أحمد أحمد فيقول: "هي الورقة التي يقوم شخص ما بتحريرها بنفسه أو بواسطة من يمثلها (وكيله)، يشرح فيها وصفه وحاله الذي يقصده ويطلب ما يريد تحقيقه ويقدمه إلى الجهة التي لها السلطة القانونية في موضوع الطلب⁴."

ويعرفها أبو القاسم سعد الله على أنه أسلوب أدب، استعمل فيها النثر الراقى والأسلوب الصافي واللغة الجيدة يطرح فيها الكاتب انشغاله وقضيته، ويعتبر شكلاً من أشكال التعبير الفردي أو الجماعي، يتفنن فيها الكاتب بعض التفنن قصد إيصال صوته إلى السامع أو القارئ والتأثير فيه⁵.

1- لويس رين-تاريخ انتفاضة 1871- دار الرائد للكتاب- الجزائر- 2018- ص 312.

2- حسين العزاوي-موقف القانون الدولي من الإرهاب والمقاومة المسلحة-دار الجامد-الأردن-ص110.

3- لويس معلوف- المنجد في اللغة- المطبعة الكاثوليكية- بيروت- 1956- ص 498.

4- ناشقي أحمد أحمد- عريضة الدعوى المدنية شروطها وأهميتها- بحث مقدم للترقية في سلك القضاء- محكمة أربيل- العراق- 2011- ص 55.

5- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954)- ج 4- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1998- ص 156

2-3 تعريف الشكاية: هي ذات طابع فردي، حيث يكتفي الشاكي بعرض مشكلته في عبارات مباشرة، ودارجة في معظم الأحيان، مع استخدام أسلوب ضعيف اللغة، وبما أنها كانت عادة تمر عبر مترجم، فإن الكتاب في هذا النوع لم يكونوا يتفننون في الأسلوب لعدم الفائدة من ذلك، خاصة إذا امتزج هذا الأمر بعدم شعورهم أن شكايتهم ستلقى آذانا صاغية، أو أنهم سوف يؤثرن في المخاطب¹.

3-أسلوب المقاومة بالعريضة في الجزائر خلال القرن 19: لم يكن أسلوب المقاومة بتقديم العرائض متأخرا في الظهور بالمقارنة مع المقاومة الشعبية المسلحة التي خاضها الجزائريون، فالمصادر التاريخية تذكر أن العرائض ظهرت مع أولى الخطوات التي خطاها الجيش الاستعماري في الجزائر واستمرت بعد ذلك طوال فترة الاحتلال الفرنسي، مدفوعة بالغضب من همجية الاحتلال، وعدم وجد من يتكلم باسم السكان بفعل تفكيك الاستعمار الفرنسي لهياكل الدولة التي كانت قائمة.

أول من بدأ هذا الأسلوب في النضال هم الحضر في المدن الذين كانوا يتبنون فكرة أنه لا جدوى من القتال والعنف، أما في الريف فلم يتوغل هذا الأسلوب النضالي بالقدر الكافي، حيث وعلى عكس سكان المدن، فإن سكان الأرياف انضوا تحت لواء الزعامات التي أشعلت شرارة المقاومة الشعبية المسلحة².

أولى العرائض كانت في الجزائر العاصمة، وكان من بين أوائل من رفعوا الانشغالات هو المفتي الحنفي ابن العنابي (1775-1851) الذي تصدى لمحاولات الفرنسيين لتحويل المساجد إلى مستشفيات، حيث ذكر كلوزيل في العديد من الرسائل بالاتفاق الذي وقع بين الداي حسين ودي بورمون الذي يضمن عدم المساس بحرمة المساجد، ونميه إلى العواقب الوخيمة التي قد تنجر عن هذه السياسة³. إضافة إلى ابن العنابي، فقد نشط آخرون مثل أحمد بوضربة وحمدان بن أمين السكة، وحمدان خوجة الذي قدم عريضة للجنة الأفريقية. -عريضة حمدان خوجة: (1773-1842) من أبرز الشخصيات الجزائرية التي نشطت مع بداية الاحتلال، وباعتباره شخصية مثقفة ولها وزن، حاول تقديم احتجاجات وعرائض

1- أبو القاسم سعد الله-المرجع السابق-ص 157-158.

2- جمال قنان-نصوص سياسية في القرن 19-ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر-2009-ص 61.

3- أبو القاسم سعد الله-محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال-منشورات وزارة الثقافة-الجزائر-2007-ص 74.

للمسؤولين الفرنسيين عما كان يقوم به الجيش الفرنسي وطريقته التي انتهجها لاحتلال الجزائر، ومن جملتها عريضة قدمها للجنة الإفريقية عام 1833، فبعد ثلاث سنوات من الاحتلال، أمر الملك لويس فليب بتشكيل لجنة تبحث تطور الأوضاع في الجزائر في 10 جويلية 1833، وقد استدعت هذه اللجنة حمدان خوجة الذي استغل الفرصة لإعلام أعضائها بواقع الجزائر، فقدم عريضة في 2 سبتمبر 1833 نهيم فيها إلى ما يحدث في الجزائر من تعديلات تجعل الشرف الفرنسي في خطر، مبينا دوافع هذه العريضة حين قال: "ولكنني مقتنع تماما أن ملاحظاتي حول الأخطاء التي ارتكبت في الجزائر قد تساعد اللجنة على رأب الصدع وخصوصا على معرفة الحقيقة" مبينا في هذه العريضة موقف فرنسا المتعنت التي رفضت إزاحة ثقل كثقل الرصاص على كاهل الجزائر، راجيا من اللجنة أن تعمل جهدها في أزاحتها"¹.

كما انتقد دي بورمون فقال: "أصبحت ذات قوة وسلطان (إدارة دي بورمون) في ميدان التخويف والتهويل... وكان في إمكان السيد بورمون أن يستشير السكان... قبل أن يلجأ إلى وسيلة الجور والظلم، فهو لم يهتم باحترام شروط المعاهدة التي أمضاها هو بنفسه"². ولكن كل ما قدمه هؤلاء من عرائض لم تلق آذانا صاغية، بل تعرض أصحابها إلى عقوبات، حيث انتهى أمرهم بالنفي من الجزائر، فابن العنابي اتهم بالتآمر وتم نفيه إلى مصر، وأحمد بوضربة نحو فرنسا عام 1832، وحمدان خوجة اتهم من قبل كلوزيل بالتآمر ضد الدولة وصادر جميع أملاكه وانتهى به المطاف مغادرا الجزائر واستقر بإسطنبول³. لقد توسع المجال الجغرافي لتقديم العرائض مرافقا للتوسع الاستعماري في الجزائر، فبعد العاصمة نجد عرائض تقدم بها سكان المدينة والبلدية، لتتوسع شرقا وغربا نحو قسنطينة وعنابة وبجاية ووهران وتلمسان وندرومة، لتتوسع لاحقا نحو المناطق الداخلية منها سطيف ثم المناطق الصحراوية⁴.

1- أبو القاسم سعد الله- الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900) - ج2- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1992- ص 425.

2- عمر بن قينة- صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث أعلام وقضايا ومواقف- الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية- الجزائر- 1993- ص 15.

3- أبو القاسم سعد الله- محاضرات في تاريخ الجزائر بداية الاحتلال- المرجع السابق- ص 80-81.

4- أحمد مريوش- ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين في فرنسا خلال القرن 19- حوليات التاريخ والجغرافيا- م3- ع6- الجزائر- 2012- ص 117.

ولم تكن وجهة عرائض الجزائريين نحو سلطة الاحتلال فقط، بل إلى دول أخرى، ففي قسنطينة مثلا، قدم أعيانها عريضة للبرلمان الإنجليزي عام 1836 وضحو فيها التعسفات التي قام بها المحتل جاء فيها: "إننا نعلم برلمانكم الموقر بكون الفرنسيين لم يدخلوا مدينة الجزائر إلا بعد أن وقعوا معاهدة تتضمن بنودا محددة وقد قام قنصلكم بالوساطة في هذا الشأن، لكن الفرنسيين لم يحترموا هذه المعاهدة، بل على العكس فقد كان مسلكهم مناقض لمبادئها بنفهم للأشخاص... واستيلائهم على أملاكهم، وتبديل الدين... كما قاموا بهدم المنازل وقتلوا أناسا أبرياء بغير سبب وسجنوا آخرين... وانتهكوا حرمة المقابر"¹.

ولإسماع الصوت أكثر، استغل الجزائريون قود الإمبراطور نابليون الثالث إلى الجزائر عام 1865 لإبلاغه بالظلم الواقع بهم على يد ضباط المكاتب العربية وإدارة الشؤون الأهلية، وبفضل تلك الشكاوى أصدر الإمبراطور إلى كل من بيليسيه ماكماهون تعليمات بضرورة الاهتمام بمصالح الجزائريين وأن الجزائر مملكة عربية وأن الجزائريين رعاياه كما الفرنسيين.

وتجدر الإشارة إلى أن أهل قسنطينة أكثر من كان يرسل العرائض، فقد كانت مهينة لهذا حيث سكنتها العديم من العائلات العلمية والمثقفة كعائلة ابن الفكون، وابن باديس وابن جلول، فنجد مثلا:

-عريضة المكي بن باديس (1817-1899): يعتبر من أشهر الشخصيات في مدينة قسنطينة، شغل عدة وظائف كالقضاء والتدريس والإفتاء، ولأنه من الشخصيات المثقفة والمتعلمة والمهتمة بقضايا المجتمع، فقد قدم عدة عرائض للسلطات الفرنسية، وكان من أهمها ذلك الكتيب الذي قدمه عام 1875م، والذي سماه "بيان القوانين الردعية المطبقة على اللصوص في الأرياف الجزائرية، وكان يريد به الدفاع عن الشريعة الإسلامية والمطالبة بتطبيقها على الأهالي الذين يرتكبون المخالفات بدل تطبيق قانون الأهالي عليهم، مطالبا بإحلال الشريعة محل هذا القانون بعد فشل نابليون الثالث في تطبيق مرسوم 1866 الخاص بالقضاء، ساعيا إلى الموازنة بين الشريعة الإسلامية والقانون الجنائي الفرنسي

1- أحمد مريوش-المرجع السابق-ص 118.

بالنسبة للأهالي لكنه فشل في هذا بسبب معارضة المستوطنين، وخلفه ابنه حميدة الذي اهتم بالمشاكل الفلاحية ودافع عن قضايا الجزائري أمام لجنة مجلس الشيوخ 1892¹. ومن العرائض أيضا، والتي عبرت عن حركية السكان بشكل واضح، تلك التي أرسلها أعيان تلمسان في 7 أبريل 1891 ممضاة من 11791 توقيع من شخصيات دينية وثقافية وقضاة وحرفيين وتجار وغيرهم موجهة إلى رئيس الجمهورية الفرنسية، دعت إلى ضرورة رد الاعتبار للشريعة الإسلامية وإعادة النظر في قانون الخدة العسكرية وتحسين الوضعية الاجتماعية².

وبالموازاة مع العرائض التي كانت تقدم من داخل الجزائر، فإن بعض الشخصيات قدمت عرائضها في فرنسا مثل أحمد ولد قايد خلال زيارته إلى باريس تضمنت شروحات حول سياسة فرنسا غير العادلة تجاه الأهالي في أموالهم ودينهم³.

4- تقديم قبائل منطقة سطيف للعرائض والشكايات وموقف الاستعمار الفرنسي منها: كان تقديم العرائض مدفوعا بالعديد من الأسباب أهمها:

- تطبيق القوانين العقارية لا سيما قانوني 22 أبريل 1863 و 28 أبريل 1887: فبعد تمكن الاحتلال الفرنسي من إخضاع معظم منطقة سطيف، سعى إلى توطيد العنصر الأوروبي على حساب العنصر المحلي إدراكا منه أن الاحتلال لا يمكن أن يستمر دون الاستيطان، فعمل على استحداث القوانين العقارية التي تخوله الاستحواذ على الأراضي، ومن أشهر هذه القوانين التي كانت سببا في تقديم هذه العرائض هما قانوني 22 أبريل 1863 والمعروف بالقانون المشيخي الأكبر (السيناتوس كونسيلت)، وقانون 28 أبريل 1887 القانون المشيخي الأصغر الذي جاء تكملة للقانون الأول، وقانون 22 أبريل 1863 أقره الإمبراطور نابليون الثالث، ويرتكز على ثلاث نقاط أساسية وهي:

- تعيين حدود أراضي القبائل وتثبيتها، والاعتراف للقبائل بما تملكه من أراضي جماعية.

- تقسيم أراضي القبائل التي عينت حدودها بين دواوير تنبثق عن القبيلة.

1- أبو القاسم سعد الله- تاريخ الجزائر الثقافي- المرجع السابق-ص 156.

2- أحمد مريوش - المرجع السابق-ص 120.

3- أحمد مريوش- المرجع السابق- ص 118.

- توزيع الأراضي داخل الدواوير بين الأفراد، واستحداث الملكية الفردية، ولكل فرد التصرف في قطعة الأرض الخاصة به كما يريد¹.

أما قانون 28 أفريل 1887م: السيناتوس كونسيلت المصغر فقد تكمله للقانون المشيخي 22 أفريل 1863م، هدفه الاستحواذ على المزيد من الأراضي التي لم يمسه القانون المشيخي السالف الذكر، وإيجاد أوعية عقارية أخرى يمكن استغلالها لأغراض استيطانية، إذ كانت هناك قبائل ظلت مقاومة وصامدة لم تتمكن السلطة الفرنسية من احتلالها باكرا، وشمل القانون القبائل البعيدة عن مدينة سطيف كبني ورثيلان، بني يعلى وغيرها².
لذلك جاءت الكثير من العرائض المقدمة احتجاجا على تقسيم القبائل وفقدان اللحمة القبلية والاستحواذ على الأراضي لصالح الكولون.

- عدم القدرة على المواجهة العسكرية، فقوة جيش الاحتلال مكنته من إخضاع القبائل التي لم تجد أمامها غير البحث عن وسائل سلمية قصد الدفاع عن حقوقها.
- نمو الوعي الوطني خاصة مع ثمانينيات القرن 19، وبروز نخبة مثقفة بإمكانها إيصال صوت الجزائريين بطرق غير المقاومة الشعبية، لذلك انتشرت العرائض والشكايات ولم تكن منطقة سطيف في منأى عن هذا الأمر.

1-4 عرائض قبيلة بني ورثيلان:

1-1-4 التعريف بالقبيلة: تقع بني ورثيلان شمال مدينة سطيف، وتبعد عنها بحوالي 80 كلم، يحدها من الشمال دوار بني معوش من قبيلة لعراش، ومن الشرق بني شبانة، ومن الجنوب عين لقراج، ومن الغرب إلمين وأمالو (قبيلة بني عيدل) وأصل غالبية سكان هذه القبيلة من البربر، يعتمدون في حياتهم على الزراعة وتربية الماشية وممارسة بعض الحرف، وجددهم حسب ما هو موضح في إحدى الرسائل التي وجهها السكان إلى السلطات الفرنسية اسمه ورثلان، فجاء في نص الرسالة: "إن أناس عرشنا أولاد رجل واحد اسمه ورثلان توطن هنا (في تلك المنطقة)، وكنا عرشا واحدا منسوبنا إلى اسمه"³.

1- عدي الهواري-الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي(1830-1960)- ترجمة جوزيف عبد الله- دار الحداثة للنشر- الطبعة الأولى- بيروت- 1983- ص 64.

2- شارل روبير أجيرون-المسلمون الجزائريون وفرنسا(1871-1914)- ج1- ترجمة حاج مسعود- دار الرائد للكتاب- الجزائر- 2008- ص 170.

3- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Ourtilane N 73- archives de la CADASTER de Setif -1895- p 30.89à

4-1-2 نماذج من عرائض القبيلة (صور عن العرائض مدرجة في الملاحق):

نص العريضة الأولى: (إعادة كتابة نص العريضة)

الحمد لله وحده أفريل 1892م

نحن أعضاء جماعة بني ورثان من بلدة القرقور الممتزجة وعقلائهم النائبين عن جملة سكان الدوار الواضعين خطوط أيديهم بمجموله.

إلى سعادة السيد البريقي العامل بعمالة قسنطينة، السلام عليك وعلى كافة أهل حضرتك الرفيعة، بعدما ورد علينا خليفة السيد المتصرف بالبلدة المذكورة وخاطبنا هو والسيد كميصار التحديد النازل عندنا في الوقت على اقتسام الدوار وتصويره دواوين، ظهر لنا بعد الاجتماع والاتفاق في أن في قسمته مضرة عظيمة علينا من وجوه.

أولاً: إن أناس عرشنا أولاد رجل واحد اسمه ورثان توطن هنا، وكنا عرشاً واحداً منسوبين لاسمه كانت أسلافنا حالاً واحداً وأمرنا متحداً وعلى ذلك النمط كان الخلف عن السلف إلى الآن، ففي افتراق دوارنا على دواوين تغيير نسبنا ثقل ومشقة علينا.

ثانياً: إن جل أملاكنا مشتملة على الزيتون، والزيتون كان في ناحية متحدة من العرش مشتركين فيه كأناس قرية واحدة ففي افتراق العرش إلى دواوين تنشأ عداوة ومشاحنة بسبب افتراق الكلمة في محكمتين، فيؤدي ذلك على ضرر عظيم، لعدم إمكان انجياز كل طائفة بجهة لضيق بلاد القبائل عن أهلها، خصوصاً أرض عرشنا بني ورثان، فإن قرانا متفرقة في السكنى والأملاك يرتفق بعضنا ببعض في الرعي والسقي ومعاصر الزيتون ومعدن الملح، فلا يكاد يستقيم أمرنا بعد القسمة أصل الضرر والهرج والشكايات حينئذ، وذلك خلاف ما يجتهد فيه أعضاء الدولة السعيدة من طلب العافية وبه فازت على الدول للسعي في المصالح دائماً فلو رأى السيد الوالي العام بولاية الجزائر في تقسيمه مصلحة لأمر بتقسيمه وقت افتتاح الدواوين.

ثالثاً: إن وقعت القسمة في عرشنا إلى دواوين وفرضت الغرامة على الأملاك لزم أن يغرم كل واحد غرامتين في غرامتين في محل واحد وذلك يؤدي إلى فلس كثير من أناس عرشنا لعدم قدرتهم على ذلك لقلّة غلة أرضنا، وأي ضرر أعظم من هذا.

رابعاً: إن كان نظركم السيد في كثرة أناسنا هو الذي اقتضى وقوع القسمة فيه، فلا يخفى أنه كانت دواوير مثلنا أو أكثر بأضعاف كدوار بني وجليس ودوار حرييل وغيرهم. خامساً: كان أمرنا في القيادة والمشیخة من مبدأ الدولة الفرنسية بيد أولاد عبيد إلى اليوم لمشيم معنا بالعدل والانصاف بدرء المفساد وجلب المصالح وخصوصاً السيد بوزيد المتولي علينا اليوم فإنه أرفق لنا من غيره.

حاصلة هذا الأمر الذي عرضتموه علينا مما لا نطبق أن نتحمل بد لما لنا فيه من كثرة الضرر فإن المرغوب من سيادتكم معشر السادة الحكام إن تركوا عرشنا على حالته لما ذكرناه فنرجو من سيادتكم العلية أن تنظروا إلينا بعين الرضى وتقبلونا بكانا لديكم ولا مهرب لنا إلا إليكم والسلام من المكتوب عن إذهيم الأعضاء المشار إليهم ورئيسهم بن عبيد بزيد بن الحاج الشريف ابن زيدان.

تعليق: جاءت العريضة بخط عربي ولغة فصیحة، مكونة من خمسة بنود أو فقرات: الفقرة الأولى: عبارة عن التمهيد، حيث ذكر السكان بأن أصلهم واحد ودائماً ما كانوا متحدين في الرأي وتغيير نسيم سيحدث شرخاً كبيراً عليهم، وهذا تنبيه للسلطة الفرنسية إلى أنهم لا بد أن يضلوا على هذه الحال لأنها أنفع لهم وعادت عليهم بالفائدة من حيث بقائهم متماسكين ومحققين للاستمرارية في الوجود، الاستمرار النابع من التضامن القبلي الفقرة الثانية: تحذير من تقسيم العرش إلى دواوين، لأن ذلك سيؤدي إلى ظهور النزاع حول الملكية، فالزيتون الذي يعد مورداً هاماً لجميع سكان القبيلة سيحدث حوله النزاع لأنه واقع في جهة واحدة من القبيلة، حيث من العادة يخصص جانب من القبيلة ليكون بساتين زيتون، وإذا ما تم التقسيم فإن تلك البساتين ستكون في دوار محدد وبالتالي سيتم إقصاء المالكين الحقيقيين مما يؤدي إلى النزاع، كما أن قلة الأراضي الصالحة للزراعة في القبيلة بسبب غلبة الطابع الجبلي عليها سيؤدي إلى ظهور نزاع حول الأراضي باعتبار أن الأرض ذات أهمية للزراعة والحصول على الطعام، وبالتالي ستعم الفوضى ويكثر القتال وهو عكس ما تطمح إليه الدولة

الفقرة الثالثة: أشارت إلى الغرامات والضرائب المفروضة على السكان والتي كانت مرهقة، إذا أن الأملاك مشتركة ما بين الدواوين وبما أن كل دوار تفرض عليه غرامة فإن كل مالك

سيؤدي الضرائب مرتين وهو ما سيؤدي إلى إفلاس السكان، والملاحظ من خلال سجلات السيناتوس كونسيلت الخاصة ببني ورثيلان فإن الضرائب كانت مرتفعة، حيث قدرت عام 1895 بمبلغ مقداره: 26460 فرنك فرنسي¹.

الفقرة الرابعة: حاول فيها السكان إلزام السلطة الفرنسية بالحجة، حيث لم يكن هناك داعي للقسمة، ولا توجد أسباب مقنعة في نظرهم تستوجب اللجوء إلى هذا الفعل، فإذا تذرعت فرنسا أن كثرة السكان هي من استوجب هذا الفعل فإنه هناك أماكن أكثر سكانا لم يشملهم التقسم والتحديد، ولكن ما خفي على السكان أن فرنسا كانت ترغب في تقسيم القبائل والعروش لأن ذلك يخدم الأهداف الاستعمارية التي من جملتها²:

- رمى هذا القانون إلى إيجاد السبل الكفيلة قصد تفكيك القبيلة الجزائرية الصامدة في وجه توسع السلطة الاستعمارية، وذلك من خلال قطع روابط الوحدة المبنية على الأرض، إذ أدركت السلطة الفرنسية أن أي عمل استعماري استيطاني لابد وأن يتخذ الأرض كقاعدة للانطلاق.

- ترويض السلوك القتالي للفلاح بتحويله من مالك إلى عامل بسيط، مما يجعله فقيرا معوزا وضعيفا، فاقد للحمة التي كانت تربطه بالقبيلة وهي الأرض، يجري فقط وراء تحصيل قوت يومه الذي لن يتأت له إلا بشق الأنفس، ولن يفكر أبدا في الثورة أو بالتضامن مع أفراد قبيلته

الفقرة الخامسة: دعوة للسلطة الفرنسية أن تبقي على شيخهم بوزيد بن عبيد في منصبه، ذلك أنه امتاز بصفات المشيخة وكان رفيقا بالسكان ومدافعا عن مصالحهم.

نص العريضة الثانية (إعادة كتابة نص العريضة):

22 نوفمبر سنة 1898

الموقعون على العريضة: بن غانم محمد بن يوسف، أكساس محمد بن العربي، مشدال باكلي بن علي، غرس السعيد بن خلاف، بن رزق الله سليمان بن علي، بن خد محمد بن احمد، نايت يحي السعدي بن العربي، مجاني السعيد بن العربي، بن عبيد واري بن بوزيد،

1- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Ourtilane-Op-cit-p 42.

2- عدة بن داهة- الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1962) - ج2- منشورات وزارة المجاهدين-الجزائر - 2007- ص290.

بوجود أمزيان بن الونوغي، بن لعلام محمد بن الشريف، بالحاج العربي بن حمودة، بن برباح أرزقي بن إبراهيم، حمو الحوسين، عيس بن يحيى. عرش بني ورثيلان المتعلق ببلدة القرقور الممتزجة من عمالة قسنطينة الذي وافقت اللجنة التدبيرية على قسمته على دواوين.

صورة الشكاية من أعضاء جماعة عرش بني ورثيلان لأرباب النظر في شأن ذلك إن ما وافقت عليه اللجنة المذكورة من تقسيم العرش على دواوين، اتفقت أراء أعضاء الجماعة على حسب ما ظهر لهم أنه على غير السداد لما لا شك فيه أنه يتولد علينا ضرر عظيم في شأن ما تميل إليه أنفس الأنفة والتطفيف من مغالبة ولاية الدواوين المقسوم عليهما العرش بلا شئنان الذي يحرث من الأملاك المختلطة بين سكان العرش في كل ناحية منه* وذلك لضيق أرضه واجتماع منافع سكانه واتصال القرى واتحاد الطرق فيبدا في أحد المتولين أنه يذب عن سكان دواره فينتفض الأخر فيؤدي (فيؤدي) إلى تشويش قلوب العامة وإلى فتنة كبيرة بيننا بسبب الحدود الواقعة بين الدواوين في الأملاك المختلطة وذلك خلاف العافية التي تقتضيها الدولة السعيدة، فنحن جميعا نمد أكف السؤال إلى طرفكم الرفيع أن تتأملوا شكايتنا هذه وتزحوا عنا هذه المواد ولا نزال ننتظر القبول منكم معشر الحكام ورأيكم أولى وأوسع والسلام.

ومن أن الجماعة المذكورة تطلب ثانيا إن لم تقبل شكايتها أن يكون لها ريس واحد في جميع الدواوين على ما كنا عليه سابقا إذ في أحداث الرايس الثاني يكون ضرر على العامة والسلام.

تعليق: تتطرق العريضة بعد التحية والسلام إلى عدم الارتياح من تطبيق القانون المشيخي 22 أفريل 1887 حين تم تقسيم القبيلة إلى دواوين حيث عرف سكان القبيلة أن هذا القانون لن يعود بالفوائد على قبيلتهم وإنما سوف يؤدي بها إلى الزوال لأنه سوف يفقد اللحمة القبلية والعصبية والتضامن بين أفرادها وستغيب الروح الجماعية وتنشأ الفردية مما يؤدي بها إلى التفكك، وقد نبه أعضاء الجماعة إلى أنه من غير السداد تقسيم العرش لما له من ضرر في وجود جماعتين عوض جماعة واحدة للعرش يتفق حولها السكان،

فوجود دواوين وجماعتين قد يولد الحقد وعدم المفاهمة في تحديد أملاك كل دوار مما سيولد صراعا وقتالا بين السكان، والأنفع للسكان والأصلح لهم أن يبقى العرش على حاله
2-4 عرائض قبيلة بني يعلى:

1-2-4 التعريف بالقبيلة: تقع قبيلة بني يعلى شمال غرب سطيف على بعد حوالي 80 كلم منها، يحدها من الشمال بني شبانة وبني ورثان، ومن الشرق قبيلة ساحل قبلي وعين الترك، ومن الجنوب دواوين زمورة، وثارنورث، ومن الغرب قبيلة بني عيديل، هم مزيج بين العرب والأمازيغ، تستوطن مناطق وعرة ذات جبال وغابات، وتبلغ مساحة القبيلة 21180 هـ، يسكنها 19029 نسمة، حسب إحصائيات تمت أواخر القرن التاسع عشر¹.

2-2-4 نموذج من عرائض القبيلة: (صور عن العرائض مدرجة في الملاحق):
نص عريضة مقدمة بالاشتراك بين قبيلتي بني يعلى وبني ورثان: (إعادة كتابة نص العريضة)

الحمد لله وحده
في 15 أفريل 1891
سعادة المعظم الأرفع السيد الكميسار الحاكم بقسم قرقور السلام عليك وعلى كافة مجلسك الرفيع وبعد: نحن أعضاء جماعات عرش بني يعلى وجماعات عرش بني ورثان الواضعين خطوط أيدينا أسفله فإنه لما وقع التحديد بني العرشين فوقعنا كلنا بحضرتك مع السيد الجيمطر المكلف بالتحديد بعرض بني يعلى ووقع التراضي بيننا بحيث أن الحد القديم الذي مشيناه مع السيد الجيمطر المذكور وأريناه له فهو الذي بفرق بيننا 4- لواقع التوفيق عليه من مجلس السيد الوالي العام يوم حدوث التقسيم بين الأعراش بتاريخ فاتح أكتوبر 1882 ولو كانت الأملاك من كلتي الجهتين متداخلة بعضها ببعض فلا بأس بها ولا ضرر علينا ولا يغرم من كان في الرسم من عرش بني يعلى وجاء ملكه في رسم بني ورثان وكذلك العكس من كان ورثانيا وجاء مل 23 جكه في رسم بني يعلى ولا تقع الغرامة مرتين على أحد من كلتي الجانبين ونحن إخوة وأصدقاء ولا منافات لأحد منا على الآخر وجعلنا هذا الأمر صلاحي لينتهي الهرج ووقوع الشأن بيننا لأننا خدام الدولة الفرنسية فطالبون منك الموافقة على ما وقع به نظرنا تقية للهرج والسلام.

¹ - Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Yala- N 92- archives de la CADASTER de Setif - 1890- p 53.

من المكتب عن إذن أعضاء جماعات عرش بني يعلى وكذلك جماعات بني ورثلان أمهم الله خطوط أيدي جماعات عرش بني يعلى: أحمد بن جدو، محمد العربي بن الحاج الطيب، الحاج بن سليمان، محمد بن قري كبير الجماعة، محمد والحوسين، لخضر بن مرزوق، الطاهر أقاوة، محمد السعيد بن بزكو، العربي بن رضوان.

خطوط أيدي جماعات عرش بني ورثلان: بوزيد بن الحاج الشريف، الحاج بسعيد، سليمان أرزق الله، علي بن عمر، الطاهر بن اعمر، محمد بن يوسف، عيسى بن علي، محمد لعالم، محمد بن التواتي، بوزيد أعبيد، أحمد بن الحميد بن يحي.

تعليق: العريضة المقدمة من القبيلتين تتطرق إلى أملاك الأشخاص التي تقع في غير دوارهم وقراهم وإنما تقع في القبيلة المجاورة، فبحكم الحدود المشتركة بين بني ورثلان وبني يعلى علاقات المصاهرة والشرء وتعامل سكان القبيلتين مع بعضهم البعض، فقد كان هناك أشخاص يملكون أراضي وأملاك في القبيلة المجاورة في وضعية حرجة، ولطالما كانت الأمور عادية حتى مجيء الاحتلال الفرنسي الذي رفض أي وجود للأملاك شخص خرج الدوار الذي ينتمي إليه وهو ما انجرت عنه مشكلة فيما يخض خدمة الأملاك واستغلالها، وزاد الضغط على السكان حين أقرت السلطة الفرنسية الضرائب على المالكين ضعفين، فيدفعون باعتبارهم ملاك في قبيلة ويدفعون كملاك في القبيلة الأخرى، وهو ما أرهقهم، لذلك جاءت هذه العريضة لتلفت للنظر لإبقاء الأمور على ما كانت عليه. خاصة مع وجود أسباب كثيرة كاتصال القرى وترباطها واتحاد الطرق، وإذا ما وقع التقسيم فإن كل ساكن سيدافع عن دواره وحقوق دواره مما يؤدي إلى تشويش قلوب العامة محذرين السلطة الفرنسية من مغبة قيام فتنة كبيرة لا تحمد عقباها، وهذا خلاف منا تسعى إليه الدولة الفرنسية في سعيها إلى استتباب الأمن والاستقرار، ولكن كان هذا هو هدف فرنسا من تطبيق القوانين العقارية حيث أرادت تقسيم القبائل وإثارة النزاعات والصراعات لتتمكن من السيطرة بكل هدوء.

وتعكس هذه العريضة المشتركة وعي القبيلتين بضرورة الاتحاد والتكاتف من أجل مواجهة المخططات الاستعمارية الرامية إلى تفكيكهما.

4-3 عرائض وشكايات قبيلة قرقور:

4-3-1 التعريف بالقبيلة: تقع قبيلة قرقور على بعد حوالي 60 كلم شمال غرب سطيف، يحدها -شمالا دوازي تالة إيفاسن والماوكلان ومن الشرق دوار الحمامة وجبل العيني ومن الغرب كل من دوار الماوكلان وعين الترك ومن الجنوب دوار الغرازلة، ويعود أصل غالبية سكانها من العرب الهلاليين، وبلغ عدد سكانها عام 1892 وهي سنة تحديد القبيلة 4860 نسمة، يعتمدون في رزقهم بشكل أساسي على الزراعة وتربية المواشي¹.

4-3-2 نماذج من عرائض القبيلة: قدم سكان هذه القبيلة العديد من العرائض، سواء بشكل جماعي أو من قبل أفراد، منها:

نص عريضة سكان حمام قرقور حول استغلال مياه واد بوسلام: باعتبار أن وادي بوسلام هو الوادي الوحيد المهم الذي يمر بالقبيلة، فقد كان السكان يستغلون مياه في الكثير من الأمور، كسقي المزروعات والبساتين المقامة على ضفتيه، وطحن الحبوب بمطاحن مائية، لكن لما حل الاستعمار الفرنسي جعل مياه الأنهار ضمن أملاك الدولة، لذلك تقدم السكان بعريضة طالبين استغلال مياه النهر كما طالبوا بالسماح لهم بالوصول إليها في أي وقت بغرض أعمال الصيانة خصوصا في فصل الشتاء حين يفيض الوادي².

عريضة جماعة مشقة أولاد سباع وجماعة مشقة بني وسين مؤرخة في 14 جانفي 1899: الموقعون: خلوة محمد بن عمر، ديلمي أحمد بن الصالح، عيسى بن لخضر من جماعة أولاد سباع، طجين ساعد بن الشريف، شمسة الطاهر بن محمد، بعوز مبارك بن أحمد من جماعة بني وسين، تاريخ العريضة كان في 14 جانفي 1899م: طالب ممثلي الفرقتين بأرض جبل السماح وأرض حجي به غابة صغيرة مساحتها حوالي 120 هكتار باعتبارها مرعى لمواشيهم من الزمن القديم، ولم تدخل في أملاك الدومين إلا سنة 1893، وإن دخلت في الدومين فإننا لا نجد المرعى لمواشينا وهو ما يؤدي إلى ضياعها وضياعنا فهي قريبة لأناس المشتتين.

رد أملاك الدومين كان الرفض، بحجة أن هذه الأرض تدخل في نطاق الغابات وهي ملكية تابعة لمصالح أملاك الغابات وهي ملك للدولة الفرنسية بحكم قانون 16 جوان 1851³.

1- Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie- année 39- imprimerie administrative gojosso- Alger- 1899- p 941-942.

2- Rapport de senatus consult de la tribu de Guergour- N 134- archives de la CADASTER de Setif -1892- p 147.

3- Rapport de senatus consult de la tribu de Guergour- Op-cit- p 217.

شكايات السيد محمد بن بلقاسم بن مبروك: تقدم بالعديد من الشكايات ويبدو أنه قد أحس بظلم كبير أثناء القيام بعمليات التحديد، فقد انتزعت منه الكثير من الأراضي خاصة أنه لم يستطع تدعيم ملكيته لها بواسطة العقود، حيث وبموجب قانون 1 أكتوبر 1844 فإن كل من لم يثبت ملكيته لدى الإدارة الفرنسية بعقد دقيق وموقع من قبل 4 خص ذو هيئة رسمية كالقاضي والمفتي يعود لما قبل 5 جويلية 1830 فإن ملكيته ستؤول أليا لمصالح أملاك الدولة، ومن هذه الشكايات نذكر:

الشكاية الأولى: مؤرخة بتاريخ 15 جانفي 1898 طالب بأرض ماجن بوعلي وهي أرض حرث، حيث أدعى أنه منحها له الجنرال قيثار حاكم سطيف، هذا الأخير طلب من القائد السعيد بن زيدان تنفيذ أمره بأمر مؤرخ في 25 فيفري 1874، وعندما أتى السيد فيكر لخدمة أراضي المخزن، أمره المعين بدوارنا (شيخ الدوار المعين) بن شمسة بن احمد بإدخالها في جملة البلاد المخزنية، وكان هذا الأخير يبغضني ويريد الشرلي فامتثل لكلامه وجعله من البلاد المخزنية، ثم جاء التحديد فأدرجت بالقانون تحت بلاد المخزن، وكان رد مدير أملاك الدومين هو الرفض دون تقديم أي حجة، وهو نوع من التعسف الإداري الذي مارسه الاحتلال الفرنسي¹.

الشكاية الثانية: مؤرخة بتاريخ 10 فيفري 1899، حيث تقدم السيد محمد بن بلقاسم بن مبروك من الدوار مطالباً باستحقاق الرقعة المعروفة باصفايت أم نكال مدعياً أن أباه بلقاسم بن مبروك حرثها في عام 1875م وفي السنة التي بعدها ومساحة هذه الأرض هي 47 هكتار، منها 20 تحرث والباقي للمرعى وبعضه كهوف معدودة، يحدها من الشمال والجنوب واد بوسلام ومن الغرب والشرق رأس الجبل المسى قاع الكهف.

الرد من مدير أملاك الدومين: بعد الاستخبار والبحث من الجماعة ومن غيرها من أهل الدوار، ثبت أن هذه الأرض المتنازع فيها كانت من أراضي عرش عين الترك يحرثها أناس منهم، ولما وقع الشأن (القتال)، بين هؤلاء وعرش قرقور في شأن الحد الفاصل بين عرشهما فعند ذلك أق الحاكم أن الأراضي الكائنة بالحافة اليمنى لوادي بوسلام لعرش قرقور، وبالتالي بقيت أرض صفايت أم نكال بورا ولم تحرث لمدة ثلاث أو أربع سنين، وفي سنة

1- Ibid- p 219-220.

1872 أعطيت أراض أخرى على وجه الانتفاع للسيد سعيد بن زيدان قايد قرقور وبدوره سلمها للقاضي سي دحمان بن عليق الذي حرثها مدة إقامته بهذا العرش، ثم بعد انتقاله أعطيت سنة 1875م، على سبيل المخزن لبلقاسم بن مبروك أبو الشاكي الذي كان شيخا على قرقور وعلى طرونة شعاب، وبعد أن حرثها سنتين رهنها لاستقراض دراهم في يد عبد الرحمن بن زردة من عرش عين الترك وهذا حرثها أربع أو خمس سنين ومات، وفي سنة 1882 ومع تحول الحكم المدني إلى قرقور، استولت البلدية المختلطة على جميع الأراضي المخزنية ومن حملتها صفات أم نكال وأجرتهم لمنفعة الوطن وبعد أعوام استولى الدومين على جميع أراضي النوع المذكور (المخزن) الكائنة بالدوار المسطور، (الدوار المحدد وفق قانون 28 أبريل 1887)، ولهذا وجدت أراضي صفات أم نكال بسجل الدومين، وبالتالي رفضت الدعوى¹.

وعلى العموم فالوثائق مكتوبة بخط عربي مغربي ولغة فصيحة وخط جميل وموجزة ودقيقة في طرح الانشغال، تدل على أن المستوى التعليمي في المنطقة كان جيدا، وهذا راجع إلى عوامل عدة أبرزها انتشار الزوايا والكتاتيب بشكل كبير وكان عموم السكان متعلمون وغالبية الأطفال يلتحقون بها.

4-4 موقف الاستعمار الفرنسي من تقديم العرائض والشكايات: لقد لجأت القبائل إلى تقديم العرائض والشكايات كنوع آخر من المقاومة بعدما فشلت في الحفاظ على حقوقها بانتهاج مواجهة العسكرية، ولم يكن موقف الاستعمار على قدر آمال هذه القبائل، إذ ضرب عرض الحائط بهذه الالتماسات التي جاءت في العرائض مدفوعا بالعديد من الأسباب، أهمها:

-قوته العسكرية التي منحتة الأفضلية للرفض وعدم الدخول في مفاوضات لإيجاد التسوية وتحقيق مطالب القبائل التي حملتها العرائض.

-الدوافع الاقتصادية: حالت الدوافع والأهداف الاقتصادية في الاستجابة لما حملته العرائض، فقد أخضعت القبائل للقانون المشيخي كما رأينا بغية تحديد وتثبيت حدودها قصد إيجاد الوعاء العقاري الشاغر واستغلاله في دعم العمل الاستيطاني (بناء المراكز

1-Rapport de senatus consult de la tribu de Guergour- Op-cit- p167-168.

الاستيطانية، وتوزيع الأراضي على الكولون)، كما أن الرغبة في الحصول على الضرائب شجع المضي في هذا الأمر، فقبائل بني ورثيلان وبني يعلى رغم شكاويهم العديدة كان دائما الرد من الإدارة يكون بالرفض، وكان اللجوء للقضاء نادرا كون مصاريفه لا يمكن تغطيتها - في قبيلة قرقور رأينا أن الرد من مدير أملاك الدومين دائما الرفض والحكم بعدم تأسيس الدعوى لأسباب عدة: مثل أن الأرض غابة تخضع لقانون الغابات، أو ضمن الملكية العامة، أو أنها أرض مخزنية تابعة لبابلك أثناء العهد العثماني وبالتالي فهي الآن ملك لفرنسا، ولها مطلق التصرف فيها، لأنها "وريثة" الدولة العثمانية

- كان من أهداف القانون المشيخي 22 أفريل 1863 هو كسر اللحمة القبلية التي كانت تقف في وجه الاستعمار الفرنسي وت56قوي المقاومة، لذلك لم يكن قابلا للطرح أبدا إبقاء القبائل متماسكة، بل قسمت إلى دواوير، فقبيلة بني ورثيلان، قسمت إلى دواوين: ورثيلان، وتيقونتين، وبني يعلى إلى ثلاث دواوير، حربيل، عين لقراج، وخليجان، وللتأكد أن هذه الدواوير لن تتحد مرة أخرى استحدثت البلديات، فبلدية بني ورثيلان التي تأسست عام 1891 مثلا ألحق بها عين لقراج الذي هو دوار من بني يعلى، ودوار حربيل ألحق ببلدية قنرات، هذا كي لا يحس الفرد بأي انتماء قبلي فتقل مقاومته¹.

هذه العرائض ورغم أنها لم تحقق الأهداف التي قُدمت من أجلها إلا أنها بينت أنه هناك أساليب أخرى للمقاومة غير المواجهة العسكرية، وقد أصبح هذا الأسلوب يتزايد، فمثلا قدم الشيخ يحيى الشريف بن أحمد شيخ قصر الطير (قبيلة ريغة) بالموازة مع هذه العرائض عريضة عام 1981 دافعا عن مصالح السكان الجزائريين بغض النظر عن انتمائهم القبلي (كالإرهاق الضريبي، والقوانين الجائرة ومصادرة الأراضي ومساوئ الحالة المدنية، والربا)².

وقد ساهم هذا الأسلوب في ظهور المقاومة السياسية التي تبلورت مطلع القرن العشرين، إذ بعد حوالي سبعين عاما من المقاومة الشعبية المسلحة، غيّر الجزائريون

1-Abdelkrim Badjadja-Cartographie agraire de l'Est Algérien à la fin de XIX siècle- Constantine-Département de Géographie- Université de Constantine- Algérie- 1974- p 52.

2- الشيخ يحيى الشريف بن أحمد-نص عريضة الشيخ مؤرخة في 28 جويلية 1891-مطبعة روكة-سطيف-الجزائر-1891-ص 54.

أسلوبهم باللجوء إلى الأسلوب السلمي السياسي وكان تقديم العرائض أبرز أوجهه، قصد استرجاع ما سلب منهم، والمطالبة بإلغاء القوانين التعسفية والدفاع عن حقوقهم¹.
الخاتمة: قمنا في هذه الورقة البحثية بالتطرق إلى مقاومة قبائل منطقة سطيف للاحتلال، متخذين من بني ورثيلان وبني يعلى وحمام قرقور كنماذج، التي قاومت ضمن الثورات الشعبية مثل مقاومة الأمير عبد القادر، ولكن وبسبب بعض العوامل وأبرزها عدم التكافؤ في القوة مع المستعمر الفرنسي، التجأت هذه القبائل إلى نوع آخر للمقاومة تمثل في تقديم العرائض والشكايات.

من خلال ما تطرقنا إليه، يتضح لنا قدرة هذه القبائل على التكيف مع الوضع السائد، فعدم قدرتها على المواجهة العسكرية لم يدفع بها للاستسلام، ولكن نشطت بطرق أخرى واستطاعت إيجاد سبل أخرى للمقاومة والتعبير عن قضاياها، منها اللجوء إلى الكتابة تقديم العرائض.

بالرغم المجهود الذي بذلته القبائل في محاولة كتابة العرائض للدفاع عن حقوقها، إلا أن ذلك لم يفلح أما تعنت الإدارة الفرنسية.
تعكس هذه العرائض المستوى العلمي والثقافي الجيد الذي تتمتع به قبائل منطقة سطيف.

اقتراح: نقترح اهتمام الباحثين بالتاريخ المحلي لأنه هو الذي يكون قاعدة أساسية لكتابة التاريخ الوطني، كما ننوه إلى ضرورة دراسة مثل هذه العرائض، لأنها تحمل بين طياتها معلومات في غاية الأهمية يمكن أن تزيل الغبار عن الكثير من جوانب حياة السكان المهمشون الذين لم تتطرق إليهم الكتابة التاريخية بعد.

قائمة المصادر والمراجع:

باللغة العربية:

- 1- أجيرون شارل روبر -المسلمون الجزائريون وفرنسا(1871-1914) ج-1- ترجمة حاج مسعود- دار الرائد للكتاب- الجزائر-2008.
- 2- بن داهة عدة - الاستيطان والصراع حول ملكية الأرض إبان الاحتلال الفرنسي (1830-1962) - ج2- منشورات وزارة المجاهدين- الجزائر-2007.
- 3- بنقينة عمر- صوت الجزائر في الفكر العربي الحديث أعلام وقضايا ومواقف-الديوان الوطني للمطبوعات الجامعية-الجزائر-1993.
- 4- بوعزيزي - موضوعات وقضايا من تاريخ الجزائر والعرب- ج2- دار الهدى للنشر والتوزيع- الجزائر-2009.

1-محمد الطيب العلوي-مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954-دار البعث-ط1-الجزائر-1985-ص75.

- 5- سعد الله أبو القاسم - الحركة الوطنية الجزائرية (1930-1900) - ج 2- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1992.
- 6- سعد الله أبو القاسم - تاريخ الجزائر الثقافي (1830-1954) - ج 4- دار الغرب الإسلامي- بيروت- 1998.
- 7- سعد الله أبو القاسم - محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث بداية الاحتلال- منشورات وزارة الثقافة- الجزائر- 2007.
- 8- الشيخ يحيى الشريف بن أحمد- نص عريضة الشيخ مؤرخة في 28 جويلية 1891- مطبعة روكة- سطيف- الجزائر- 1891.
- 9- عديلهواري- الاستعمار الفرنسي في الجزائر سياسة التفكيك الاقتصادي والاجتماعي (1830-1960) - ترجمة جوزيف عبد الله- دار الحداثة للنشر- الطبعة الأولى- بيروت- 1983.
- 10- العزاوي حسين - موقف القانون الدولي من الإزهاق والمقاومة المسلحة- دار الحامد- الأردن.
- 11- العلوي محمد الطيب - مظاهر المقاومة الجزائرية من عام 1830 حتى ثورة نوفمبر 1954- دار البعث- ط 1- الجزائر- 1985.
- 12- قنان جمال - نصوص سياسية في القرن 19- ديوان المطبوعات الجامعية - الجزائر- 2009.
- 13- لوصيف سفيان - شيوخ العلم في منطقة عموشة الإسهام الديني والوطني (1830-1962)- دار النجم الساطع- الجزائر- 2019.
- 14- مريوش أحمد - ثقافة المقاومة ونماذج من عرائض الأهالي الجزائريين في فرنسا خلال القرن 19- حوليات التاريخ والجغرافيا- م 3- ع 6- الجزائر- 2012.

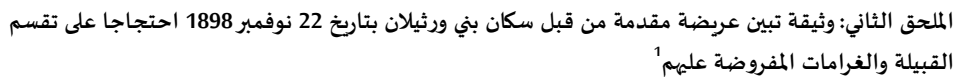
باللغة الأجنبية:

- 1- Badjadja Abdelkrim - Cartographie agraire de l'Est Algérien à la fin de XIX siècle— Constantine-Département de Géographie- Université de Constantine- Algérie- 1974.
- 2- Bulletin officiel du gouvernement général de l'Algérie- année 39- imprimerie administrative gojoso- Alger- 1899.
- 3- De Reynaud Pélissier - les Annales Algériennes- T3- librairie militaire- Alger- 1854.
- 4- Rapport de senatus consult de la tribu de Guergour- N 134- archives de la CADASTER de Setif - 1892.
- 5- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Ourtilane N 73- archives de la CADASTER de Setif - 1895.
- 6- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Yala- N 92- archives de la CADASTER de Setif - 1890.

ملاحق:

- الملحق الأول: وثيقة تبين عريضة مقدمة من قبل سكان بني ورثيلان في أفريل 1892 احتجاجا على تقسيم القبيلة¹

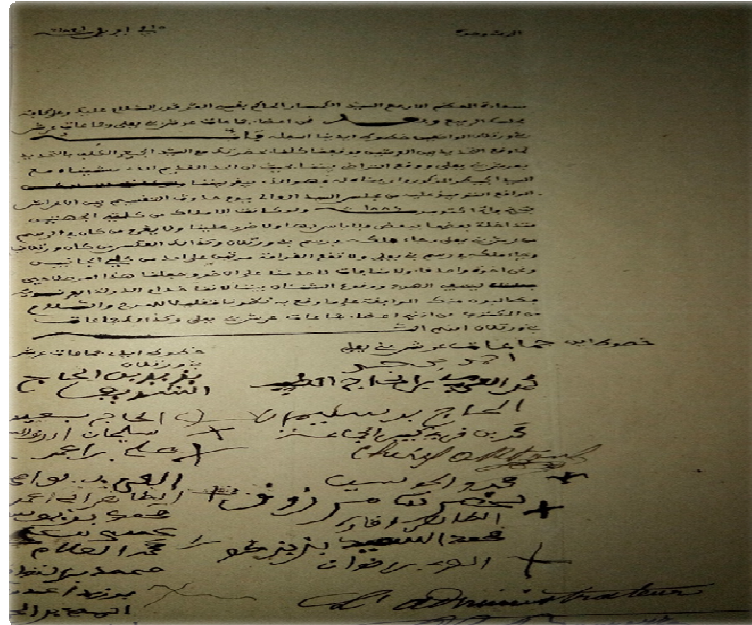
1- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Ourtilane- Op-cit- p 51.



ردیف	تاریخ الحاق	نام خانوادگی	توضیحات
۱	۱۳۰۲	محمد علی	...
۲	۱۳۰۳	...	...
۳	۱۳۰۴	...	...
۴	۱۳۰۵	...	...
۵	۱۳۰۶	...	...
۶	۱۳۰۷	...	...
۷	۱۳۰۸	...	...
۸	۱۳۰۹	...	...
۹	۱۳۱۰	...	...
۱۰	۱۳۱۱	...	...
۱۱	۱۳۱۲	...	...
۱۲	۱۳۱۳	...	...
۱۳	۱۳۱۴	...	...
۱۴	۱۳۱۵	...	...
۱۵	۱۳۱۶	...	...
۱۶	۱۳۱۷	...	...
۱۷	۱۳۱۸	...	...
۱۸	۱۳۱۹	...	...
۱۹	۱۳۲۰	...	...
۲۰	۱۳۲۱	...	...
۲۱	۱۳۲۲	...	...
۲۲	۱۳۲۳	...	...
۲۳	۱۳۲۴	...	...
۲۴	۱۳۲۵	...	...
۲۵	۱۳۲۶	...	...
۲۶	۱۳۲۷	...	...
۲۷	۱۳۲۸	...	...
۲۸	۱۳۲۹	...	...
۲۹	۱۳۳۰	...	...
۳۰	۱۳۳۱	...	...
۳۱	۱۳۳۲	...	...
۳۲	۱۳۳۳	...	...
۳۳	۱۳۳۴	...	...
۳۴	۱۳۳۵	...	...
۳۵	۱۳۳۶	...	...
۳۶	۱۳۳۷	...	...
۳۷	۱۳۳۸	...	...
۳۸	۱۳۳۹	...	...
۳۹	۱۳۴۰	...	...
۴۰	۱۳۴۱	...	...
۴۱	۱۳۴۲	...	...
۴۲	۱۳۴۳	...	...
۴۳	۱۳۴۴	...	...
۴۴	۱۳۴۵	...	...
۴۵	۱۳۴۶	...	...
۴۶	۱۳۴۷	...	...
۴۷	۱۳۴۸	...	...
۴۸	۱۳۴۹	...	...
۴۹	۱۳۵۰	...	...
۵۰	۱۳۵۱	...	...
۵۱	۱۳۵۲	...	...
۵۲	۱۳۵۳	...	...
۵۳	۱۳۵۴	...	...
۵۴	۱۳۵۵	...	...
۵۵	۱۳۵۶	...	...
۵۶	۱۳۵۷	...	...
۵۷	۱۳۵۸	...	...
۵۸	۱۳۵۹	...	...
۵۹	۱۳۶۰	...	...
۶۰	۱۳۶۱	...	...
۶۱	۱۳۶۲	...	...
۶۲	۱۳۶۳	...	...
۶۳	۱۳۶۴	...	...
۶۴	۱۳۶۵	...	...
۶۵	۱۳۶۶	...	...
۶۶	۱۳۶۷	...	...
۶۷	۱۳۶۸	...	...
۶۸	۱۳۶۹	...	...
۶۹	۱۳۷۰	...	...
۷۰	۱۳۷۱	...	...
۷۱	۱۳۷۲	...	...
۷۲	۱۳۷۳	...	...
۷۳	۱۳۷۴	...	...
۷۴	۱۳۷۵	...	...
۷۵	۱۳۷۶	...	...
۷۶	۱۳۷۷	...	...
۷۷	۱۳۷۸	...	...
۷۸	۱۳۷۹	...	...
۷۹	۱۳۸۰	...	...
۸۰	۱۳۸۱	...	...
۸۱	۱۳۸۲	...	...
۸۲	۱۳۸۳	...	...
۸۳	۱۳۸۴	...	...
۸۴	۱۳۸۵	...	...
۸۵	۱۳۸۶	...	...
۸۶	۱۳۸۷	...	...
۸۷	۱۳۸۸	...	...
۸۸	۱۳۸۹	...	...
۸۹	۱۳۹۰	...	...
۹۰	۱۳۹۱	...	...
۹۱	۱۳۹۲	...	...
۹۲	۱۳۹۳	...	...
۹۳	۱۳۹۴	...	...
۹۴	۱۳۹۵	...	...
۹۵	۱۳۹۶	...	...
۹۶	۱۳۹۷	...	...
۹۷	۱۳۹۸	...	...
۹۸	۱۳۹۹	...	...
۹۹	۱۴۰۰	...	...
۱۰۰	۱۴۰۱	...	...

341

الملحق الثالث: عريضة مشتركة مقدمة من قبيلتي بني ورثيلان وبني يعلى بتاريخ 15 أفريل 1891 توضح أنه لا ضرر من تشارك المجال والأماكن الموجودة في القبيلتين¹



1- Rapport de senatus consult de la tribu des Beni Yala- Op-cit- p 83.